

[مذكرة]

كيسنجر وراء أبواب مغلقة*

تفرد "مجلة الدراسات الفلسطينية" هذه الوثيقة المذهلة، التي نشرت في سنة 1988، عن بقية الوثائق لأهميتها البالغة في إلقاء الضوء على ولاء وزير الخارجية الأميركي الأسبق الشهير، هنري كيسنجر، لإسرائيل، وعلى آرائه فيما يتعلق بكيفية تعامل إسرائيل مع الانتفاضة الأولى، ورؤيته للحل النهائي للقضية الفلسطينية/العربية - الإسرائيلية؛ والأهم من ذلك - على ما يبدو - اتباعاً شبه حرفي من جانب حكومة شارون لنصائح كيسنجر بشأن قمع الانتفاضة والحلول السياسية والتعامل مع الجهود الدبلوماسية الدولية لحل القضية. ■

من مذكرة سرية كتبها جوليوس بيرمان، الرئيس السابق لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأميركية الرئيسية، وأرسلها إلى مجموعة من الأصدقاء. تصف المذكرة اجتماع فطور عقده زعماء اليهود الأميركيين مع هنري كيسنجر 31 كانون الثاني/يناير [1988] للبحث في الانتفاضة الفلسطينية [الأولى]، وكشفت محتوياتها للصحافة في آذار/مارس من السنة نفسها. وقد رد كيسنجر غاضباً على تسريب المذكرة، لكنه لم يطعن في دقتها.

صديقي العزيز،

حضرت لقاءً خاصاً "غير رسمي" على الفطور مع هنري كيسنجر في وقت مبكر من هذا الأسبوع، للبحث في الوضع الحالي في الشرق الأوسط. وأعتقد أنك ستجد التقرير التالي بشأن ما جرى تداوله مفيداً.

تناول الدكتور كيسنجر ثلاث نقاط رئيسية، كما يلي:

- (1) الوقت الآن غير مناسب كي يهاجم زعماء الجالية اليهودية علناً إسرائيل أو سياساتها المتعلقة بالفلسطينيين.
- (2) يجب أن تمنع إسرائيل وسائل الإعلام من دخول المناطق التي تجري فيها التظاهرات الراهنة، وأن تتحمل نقد الصحافة العالمية لمثل هذا السلوك على المدى القصير، وأن تضع حداً للانتفاضة بأقرب وقت ممكن - بقوة وقسوة وسرعة.
- (3) مؤتمر السلام الدولي المقترح، كما يراه الآن وزير الخارجية بيرس، قد يقود إسرائيل إلى "كارثة".

* المصدر: Harper's Magazine (June 1988).

وسأورد الآن شرح الدكتور كيسنجر لهذه النقاط.

بدأ [كيسنجر] موضحاً أنه يريد أن ينظر الرأي العام إليه كزعيم أميركي، لا كممثل للجالية اليهودية. لكن علينا أن ندرك أنه لن يشارك البتة في أي أمر قد يؤثر سلباً في أمن إسرائيل، وخصوصاً في ضوء ما حدث لعائلته في أثناء الهولوكوست.

... المأساة الحقيقية التي تواجه إسرائيل واضحة: لا يمكنها أن تتخلى عن كل المناطق [المحتلة] لتصبح مثل تشيكوسلوفاكيا في بداية الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك لا يمكنها إبقاء سيطرتها على كل العرب في المناطق [المحتلة].

أشار كيسنجر بشكل مناسب إلى أن أداء إسرائيل في مجال العلاقات العامة كان سيئاً جداً، مشدداً على الوضع في إسرائيل في الأسابيع القليلة الأخيرة. فهو يرى أن إسرائيل ارتكبت خطأين رئيسيين: أولاً، أنها لم تبق كل وسائل الإعلام خارج المناطق المعنية؛ ثانياً، أنها أعلنت عزمها على "ضرب" المشاركين (لا إطلاق النار عليهم). ربما شعرت إسرائيل بأن هذه المقاربة إنسانية أكثر، لكنها تغفل أنك عندما "تضرب" أحدهم، فذلك يعني أنك تسيطر أصلاً على ذلك الشخص ولا يعود في إمكانك أن تدعي الدفاع عن النفس.

وشدد كيسنجر بصورة متكررة على أنه يجب ألا تقدم إسرائيل أي تنازل في ظل الانتفاضة الراهنة مهما تكن الظروف. فتاريخ الثورات يعلمنا أن التنازلات التي تقدم في أثناء الانتفاضات تسرع في حدوث الثورة بدلاً من التعجيل في إنهاؤها. لذلك فإن المطلوب في هذا الوقت وضع حد للانتفاضة بأسرع وقت ممكن. وعند هذه النقطة بالذات، أضاف كيسنجر أنه "يعتقد حقاً أن على الزعماء اليهود ألا يوبخوا إسرائيل الآن كي لا يزيدوا في جنون الارتياب [لدى الإسرائيليين]". علينا أن نرص الصفوف وألاً نتيح للعدو استغلال اقتباسات من أقوال الزعماء اليهود لدعم موقفه.

انتقل كيسنجر بعد ذلك إلى مؤتمر السلام الدولي الذي اقترحه وزير الخارجية بيرس، فقال أنه أحيط علماً بكل الشروط الإجرائية التي وضعها بيرس للمؤتمر، وبالأدوار الخاصة بالفرقاء المشاركين، لكنه ما زال يشعر بأن بيرس أهمل مشكلة رئيسية واحدة: ما الذي سيحدث في الأسبوع الثاني من المؤتمر؟ وكل الصفقات التي عقدها بيرس مع المشاركين المحتملين في المؤتمر تعكس، في رأيه، سذاجة، وتبدو صبيانية بعض الشيء. بعد كل ما قيل وعمل، ليس لدى إسرائيل في الوقت الحاضر حكومة قادرة على وضع سياسة حقيقية للمؤتمر المقترح، وفي الجانب الآخر لا يوجد أي زعيم عربي قادر على صنع السلام الآن، وعلى إسرائيل أن تدرك دائماً أن الحكومة الأميركية لا تعارض عودة إسرائيل إلى حدود 1967 (ربما باستثناء القدس)...

لقد تحاور كيسنجر مؤخراً مع مساعد وزير الخارجية، ريتشارد مورفي، فأوضح له هذا الأخير بتفصيل ممل كل إجراءات الحماية من أجل بدء المؤتمر. لكن كيسنجر

أشار إلى عدم تركيز أحد على ما سيحدث في أثناء عقد المؤتمر نفسه، وهو يشعر بأنه إذا لم تتوصل الولايات المتحدة وإسرائيل إلى اتفاق مسبق بشأن المواقف التي ستتخذ في المؤتمر، فقد يؤدي ذلك إلى كارثة. مثلاً، لنفترض أنه أُلِّفت لجان فرعية للمفاوضات الثنائية بعد الافتتاح، فمما لا شك فيه أنها ستصل إلى طريق مسدود على الفور. إذ، في النهاية، هل يستطيع الملك حسين الموافقة حقاً على التخلي عن أي أرض لمصلحة إسرائيل؟ ما الذي سيحدث عندئذ؟ وفقاً لصيغة بيرس، سيكون لإسرائيل الحق في القول إنه لا يمكنها مواصلة المفاوضات. وهذا ببساطة ما لا يمكن أن يحدث. فانسحاب إسرائيل من المؤتمر بسبب تلك القضية سيكون سخيلاً.

وأشار كيسنجر إلى أنه ما من دولة تحضر المؤتمر، باستثناء إسرائيل، إلا وتؤيد انسحاب إسرائيل إلى حدود 1967، وهو يرى أن إسرائيل لا تستطيع البقاء إذا ما أقدمت على ذلك.

يشعر كيسنجر بصورة عامة بأن مسألة معاهدة السلام جرى تضخيمها. فالأمر لا يعني السلام الكامل والنهائي في الشرق الأوسط. والاعتراف المتبادل بين العراق وإيران لم يمنع قيام الحرب بينهما، ولا حال دون استمرار القتال بين الهند وباكستان. وركز كيسنجر على المؤتمر قائلاً إن ما من شك لديه في أن الصين ستدعم بقوة الموقف العربي المتطرف؛ وذلك ضروري للتفوق على الروس في مغازلتهم للعرب. وستكون سورية، في رأيه، مجبرة على أن تتخذ هي الأخرى موقفاً متشدداً بشأن المطلب الفلسطيني، كي لا تجد نفسها معزولة في مسألة مرتفعات الجولان، في حين أن إسرائيل لا تستطيع التخلي عن الجولان البتة...

وبالعودة إلى الوضع الراهن في إسرائيل، كرر كيسنجر رأيه السابق بشأن ضرورة إخماد الانتفاضة على الفور، والخطوة الأولى يجب أن تكون إخراج محطات التلفزة على طريقة جنوب أفريقيا. لا شك في أن هذه الخطوة ستواجه بانتقاد دولي، لكنه لن يلبث أن يتلاشى. وبحسب صوغه، "لا جوائز للخسارة بسبب الاعتدال".

إنه يشعر بأن الضمانات الدولية [للحدود الجديدة بعد التسوية] لا تساوي شيئاً. فلا يمكن استخدامها إلا لمنع إسرائيل من الدفاع عن نفسها بالشكل الملائم ضد الأنشطة الإرهابية، وهي لا تجدي نفعاً ضد تسلل رجال العصابات.

وفيما يتعلق بالحل النهائي، يعتقد كيسنجر أن على إسرائيل التباحث مع أميركا للتوصل إلى موقف موحد، إذا أمكن ذلك، ثم تعلن من طرف واحد أنها مستعدة لنقل السيطرة على غزة إلى الأردن - لا إلى مصر؛ فهو لا يريد قوات مصرية على حدود إسرائيل. كما أنه يعتقد أن مصر ستسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بالسيطرة على غزة، بينما هو على ثقة بأن الملك حسين، ملك الأردن، لن يسمح البتة بمثل هذه السيطرة للمنظمة.

وكما أشرت أعلاه، لا يعتقد كيسنجر أن على إسرائيل الاحتفاظ بكل الأراضي التي احتلتها في حرب 1967. وبالتالي، عندما تعلن إسرائيل موقفها بشأن غزة، عليها الإفصاح عن المناطق المحددة من يهودا والسامرة التي ترضى بالتخلي عنها، شريطة عدم وجود قوات عسكرية فيها، وألا يكون هناك حكومة في تلك المنطقة خاضعة لسيطرة منظمة التحرير الفلسطينية.

ويجب أن يُختتم الإعلان بعرض عقد مؤتمر دولي من أجل تنفيذ ذلك الاقتراح. وفي أثناء الأخذ والرد في النقاشات التي تلت في الاجتماع، تبين أن كيسنجر ليس واثقاً بأن مثل هذا الإعلان الأحادي الجانب سوف يقلع بعيداً. ومن المخاوف التي تقفز مباشرة إلى الذهن، طبعاً، أن يُفسر مثل هذا الإعلان بأنه موقف أولي لإسرائيل وخاضع للمفاوضات في المؤتمر نفسه. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>